



الدكتور رمسيس جيد طبيب استرالي ولد بالسودان ثم هاجر الي استراليا في عام 1989

حاز الدكتور رمسيس جيد علي شهادة الطب من جامعة الخرطوم بالسودان وقد تم تأهيله للعمل كطبيب في استراليا بواسطة المجلس الطبي الاسترالي بعد وصوله الي سيدني بقليل يعمل الدكتور رمسيس جيد حالياً كطبيب في عيادة خاصة في ليفربول في ولاية نيو ساوث ويلز

تمت هذه المقابلة مع الدكتور رمسيس جيد حول موضوع ختان الاناث

## 1- ما هي الخلفية الثقافية والتاريخية لختان المرأة ومن أين أتت؟

إنّ ختان المرأة هي عادة قديمة جداً يرجع تاريخها إلى حوالي 4000 سنة مضت، ويرجّح بأنها بدأت في الحضارة المروية القديمة (وهذه تشكل الأجزاء الشمالية للسودان اليوم). وقد ذكر ختان المرأة في المخطوطات الفرعونية المصرية 2000 سنة قبل الميلاد، ولهذا السبب تدعى أحياناً بالختان الفرعوني (النوع الثالث).

ولذلك من المؤكد بأنها ابتدأت في أفريقيا وانتشرت إلى الشرق الأوسط ومع انتشار الإسلام في آسيا، حيث يمارس ختان الذكور لدى السنّة في بعض البلدان كأندونيسيا، ومجتمع الأكراد في شمال العراق، واليمن، وبعض المجتمعات الإسلامية في الهند وسريلانكا.

أما الدافع الثقافي لختان الأنث فهو أكثر تعقيداً. فمع أنّه من الممكن أنّه قد بدأ في العالم القديم لتقوية عدم المساواة بين الجنسين وللسيطرة على الممارسة الجنسية عند المرأة ولتأكيد قوة هيمنة الذكر في المجتمعات الذكورية على جسد المرأة، إلا أنّه في الكثير من الثقافات هو يعتبر إجراء يخص الأنث فقط بحيث لا يسمح للرجال التدخل فيه أو مناقشته، وهو بالتالي تحت سيطرة الأنث كلياً في تلك المجتمعات.

تصرّ الأمهات على ختان بناتهنّ لأنهنّ يعتقدن أنّ ذلك يزيد من رغبة الرجال للزواج بهنّ، بحيث يكنّ أكثر نظافةً ويقل احتمال أن يكون سلوكهنّ منحلاً.

وفي حضارات أخرى، تعتبر النساء أن هذه العادة هي ضرورة لعبور الفتاة إلى مرحلة النضوج الأنثوي.

ولا يمكننا أن نتجاهل الدافع المادي أيضاً لاستمرار هذه العادة حيث تدفع مبالغ كبيرة للقابلات اللواتي يقمن بممارسة ختان البنات، والاحتفالات الكبرى التي تلي العملية والتي تغني مجموعة من الفنانين.

## 2- ما الذي جعلك أنت، كطبيب ذكر، أن تكون سفيراً للبرنامج التعليمي لمكافحة ختان النساء في ولاية نيو ساوث ويلز؟ وما هي نسبة النساء والبنات اللواتي يخضعن لهذا الإجراء في السودان ومصر على سبيل المثال؟

أنا من شمال السودان حيث 80% من النساء يخضعن للنوع الثالث من الختان والمعروف بالختان الفرعوني. أنا شهدت على الفظاعة التي ترتكب من قبل المجتمع ضد النصف الآخر وهم الأنث، مسببة لهنّ حياة مليئة بالمعاناة. وأنا أعتبرها جريمة أسوأ من الإبادة الجماعية بالنسبة لضحايا الختان الأنثوي، بحيث تعشن طوال حياتهنّ متأثرات بهذا العمل البربري.

تخيلت والدي يقول لي، "يا ابني أنا أخشى أنك ستكبر وتكون فاسقاً. ولكي أمنع حدوث ذلك، سوف أقطع رأس قضيبك".

لذلك قررت أن أقف ضد هذه الجريمة الفظيعة التي تؤثر على الملايين من النساء، وأن أحاول أن أمنع حدوثها مجدداً بحق نساء أخريات.

### 3- ما هي الآثار النفسية الناتجة من عادة ختان الإناث؟

هناك آثار فورية وأخرى طويلة الأمد. تخيل الآن طفلةً تلعب بسلام، وفجأة يأتي شخص ما ويأخذها إلى مكان غريب وهناك يقومون بتقييدها وخلع ملابسها الداخلية ثم ترى أدوات غريبة. يقومون بفعل شيء لها وفجأة تكون في ألم شديد وتبدأ بالنزيف. وقد يقوموا بربط رجليها بعد ذلك لمحاولة تقليل النزيف.

تخيل مدى الصدمة النفسية التي تمر بها تلك الطفلة. وتخيل مدى الخوف والهلع الذي سوف تحلم به ليلة بعد ليلة.

سيكون ذلك ذكرى محفورة في ذاكرتها ونفسها. لبعض النساء تستمر هذه الذكرى إلى أن يبلغن أواخر الثلاثين أو الأربعين من العمر ولا يمكن أن ينسين هذا الحدث أبداً. فهو حدث مباشر يسبب صدمة عاطفية مباشرة للطفلة ويمكن أن يظل في ذاكرة الطفلة لفترة طويلة من العمر.

من الناحية العلمية، يمكن أن تعاني تلك البنات مما يسمى "اضطراب ما بعد الصدمة"، وتسترجع ذاكرة هذا الحدث في ليلة الزفاف (الجماع الأول) عند حدوث تجربة مؤلمة أخرى، وهي محاولة إدخال القضيب بالقوة في فتحة صغيرة. وحيث من المفروض أن تكون تلك الليلة سعيدة، إلا أنها تصبح تجربة مؤلمة بدون إشباع جنسي.

هذا الأمر يمنع الكثير من النساء من الوصول إلى "نشوة الجماع" لسنوات كثيرة من الحياة الزوجية، مما يؤثر على علاقتهن بأزواجهن وبالأسرة بأكملها، حيث لا تشعرن بالرضا وتشعرن بالإساءة علي أيدي أزواجهن الأنانيين. هذه شكوى سمعتها من المئات من النساء اللواتي تعرضن للختان الفرعوني. والنتيجة النهائية هي اختلال وحدة الأسرة، والتسبب بالمزيد من الصدمة النفسية للأسرة بأكملها.

### 4 - ما هي الآثار الجسدية لهذه الممارسة؟ نسمع عن خلع العظام والقطع الخطأ والنزيف الخ؟

هذه هي المضاعفات الفورية الناتجة من ختان الإناث، لأنهم يمسون بجسم الطفلة أو الفتاة الصغيرة الضعيف والطري، يفتحون ساقها قدر المستطاع. كما قد تصاب الطفلة بكثير من الكدمات وحتى خلع في الورك أو كسر في العظام. وتصاب الطفلة بالنزيف الشديد ويمكن أن يصاب جرحها بالتهابات قد تؤدي إلى تسمم الدم (انتقال الالتهاب إلى الدم) أو مرض الكزاز أو الغرغرينا أو حتى الموت. بعد بضعة أيام من إجراء الختان تكون هناك صعوبة في التبول ويمكن حدوث احتباس في البول.

ويمكن أن تسبب الآلام الشديدة صدمة عصبية بحيث يمكن أن تقتل الطفلة، فتصبح أول ليلة للزواج ليلة رعب تكون بداية لشهر أو شهرين من الصراع في الفراش لمحاولة إدخال القضيب بشكل كامل. في بعض الحالات هناك حاجة إلى تدخل جراحي لعكس الختان (توسيع الفتحة قليلاً عن طريق الجراحة)، أو أنّ الصراع يستمر. في كلتا الحالتين لا تستطيع الأنثى الوصول إلى النشوة الجنسية. وأنا أعرف سيدات متزوجات من عشرين أو ثلاثين سنة يمكنهنّ خلالها عدّ مرات قليلة فقط تمكنوا فيها من الوصول إلى نشوة الجماع.

نشوة الجماع هي جزء مهم في حياة المرأة. فقد وجد أنّ 20 مركزاً في الدماغ تنشط بصورة كبيرة مما يزيد من كمية الاكسجين في الدماغ ويحسن الصحة العامة للمرأة، حيث هي بمثابة مضاد للإكتئاب.

وتشير البحوث إلى أنّ النشوة الجنسية عند النساء تساعد الحيوانات المنوية للوصول إلى جانب الرحم الذي يحدث فيه التبويض. فإذا كان التبويض يحصل في الجانب الأيسر، تجد أنّه خلال حصول النشوة هناك قوة خاصة تجذب الحيوانات المنوية إلى ذلك الجانب. ووفقاً لذلك فهذا مهم للخصوبة.

لذا فإن استئصال أي جزء من أعضاء المرأة التي تؤثر على قدرتها على الحصول على النشوة الجنسية سوف يؤثر أيضاً على صحتها وقدرتها على الحمل.

## 5- ما هي الآثار الصحية المستقبلية الناتجة من عادة ختان الإناث؟

في الختان الفرعوني وهو الختان رقم 3 يتم تصغير فتحة المهبل لتصبح ثقباً صغيراً. هذا يسبب الكثير من المشاكل في التبول، إضافةً إلى الالتهابات المتكررة في المسالك البولية والصعوبة في خروج الدم اثناء الدورة الشهرية والتي قد تحتاج إلى تدخل جراحي للسماح بمرور الدم.

إنّ إبقاء الحيض في الرحم والمهبل يمكن أن يسبب المزيد من الالتهابات في منطقة الحوض مما يؤدي إلى العقم، ضعف الخصوبة والجماع المؤلم.

ويمكن أن تؤدي الانسجة المشوهة إلى نشوء جلد سميك (جدره) في المنطقة، وأكياس، وضرر في فتحة البول مما يؤدي إلى التبول اللاإرادي.

وقد يصير الجماع الطبيعي مستحيلاً في وقت لاحق في الحياة. في بعض الحالات قد يكون التدخل الجراحي ضرورياً وهذا يجلب معه جميع المضاعفات التي تلي الجراحة.

خلال فترة المخاض، لا بد من فتح الختان جراحياً قبل الولادة مما يزيد من الصدمة لمنطقة الحوض. لذلك فإنّ معدل وفيات السيدات المختونات الحديثات الولادة هو 10 إلى 20 في كل 1000 امرأة، وهذا أعلى من معدل النساء غير المختونات.

## 6- هناك تعديل جديد في قانون ولاية نيو ساوث ويلز بالنسبة لختان الإناث؟

من خلال رفع العقوبة إلى 21 سنة سجن لكل من يشارك في القيام بهذا الإجراء، أنا أشك في أن يقوم أي طبيب عاقل أو طبيبة عاقلة بهذا الإجراء حتى وإن كانوا يؤمنون بذلك. لذلك يشكل هذا مقياساً رادعاً جيداً لوقف حدوث هذه العملية الإجرامية.

أما بالنسبة للأهل الذين أخذوا بنصيحتي بشأن ختان الإناث، فأنا قد شرحت لهم أن هذه إساءة بحق طفلتهم يعاقب عليها القانون. وحتى بعد عودتهم الي استراليا من الخارج بعد إجراء العملية هناك، فإن علم أي مهني يعمل في حقل الصحة (وأنا منهم) بهذا الأمر، سيكون ملزماً بموجب القانون أن يخطر السلطات، بما في ذلك من تداعيات خطيرة عليهم وعلى الأسرة بأكملها، بما في ذلك إزالة الطفلة أو الفتاة من وصايتهم ومقاضتهم.